كان من رحمة الله تعالى بالإنسان أن خلقه الله فى أحسن تقويم ..وصوره فأحسن صورته ..وجمله فأحسن خلقه على نحو يمكنه من تحقيق رسالته كخليفة لله فى أرضه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1].

ومنح الله الإنسان فطرة نقية سوية تكريمًا له ..وفضله على كثير ممن خلق تفصيلا ووهبه سبحانه وتعالى الغرائز لتكون عونًا له فى أمر معاشه ثم منحه العقل ليميز به الخبيث من الطيب ..وسلحه بالإرادة لتضبط الغرائز وتكبح جماح الشهوات إن طغت.

والجمال البيولوجى نعمة وثروة كبرى لدى المرأة إن أحسنت التصرف فيها وفقًا لتعاليم السماء ..والجمال قد يكون نقمة كبرى إن أساءت المرأة استخدامه فأرادت أن توقظه طبقًا لقوانين النفعية والأهواء.

ولا بأس أن تهتم المرأة بجمالها ونظافتها، وتحافظ عليها، وتعمد إلى تهذيب ما شذ عن ذلك دون إفراط أو تفريط ..فقد حث الإسلام على الطهارة خمس مرات فى اليوم والاستحمام دومًا ..والاستحمام عقب الاحتلام، أو الجماع، أو الطهر من العادة الشهرية، وتمشيط شعر الرأس وطهارة البدن (طهر المظهر والمخبر)، واستخدام العطر الجذاب الرائحة (للزوج)، وإزالة شعر العانة والذراعين والرجلين والإبطين، ولا بأس من استخدام بعض المساحيق الجمالية (إذا طلبها الزوج لنفسه) فى منزل الزوجية ..وحرم الإسلام على المرأة فقط أن تكون واشمة أو مستوشمة ..واصلة أو مستوصلة للشعر أو تجعل شعرها كأسنمة البخت المائلة، أو تكون نامصة أو متنمصة (أى مزيلة لحواجبها أو لغيرها من النساء)، أو تخرج متبرجة أو متعطرة ليشم الناس رائحتها الجذابة.

---

[1] الانفطار / ٦-٨

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الـترمذى: "**كـل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرّت بـالمجلس، فـهى كـذا وكـذا، يعنـى زانية**". فطهارة البدن والقلب فيها رضـاء للـرب وفيـها رضـاء للـزوج ..وهكـذا تسعد المرأة فى دنياها وأخرها.

والمرأة البراقة هى تلك المرأة التى تصقل وجهها طوال النهار وتزينـه ليكـون له بريق فى الضوء نتيجة انعكاس الأشعة الضوئية عليه من كثرة ما تستخدم من مساحيق ..أو تضع على رأسها من زينة بهدف جذب الأنظار إليها ..وقيل هى المرأة التى تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها.

وقد تنجح تلك المرأة فى إثـارة الشـهوات وتـهييج الغرائـز لـدى الكثـير مـن الرجال ..وقد يتعدى ذلك لإثارة عدد من النساء غير السويات ..لكنها تعجز أن تثير عاطفة تقدير أو احترام لدى عقل أو قلب أحد هؤلاء المحببين.

إنها تخفق فى تلك المهمة بعد ذلك وينزوى بريقـها، ويطمـس لمعانـها، لأن الجمال البيولوجى عارية مستردة، وهى تسترد بفعل المرض أو العجز، أو بفعل الزمن ..وهيهات أن يسترد ما سلب من جمال امرأة!!

إذن فالجمال ثروة موقوتة وليست دائمة ..فإن لم يكن للمرأة ميراث أو ثـروة أخرى ترتكز عليها فى مواجهـة الحيـاة فحتمًا سـيكون الفشـل مـن نصيبـها، وستخفق فى تحقيق أهدافها، وربما صارت حياتها مسلسلاً من الأحداث المؤلـمة والدامية المضحكة والمبكية فى آن واحد.

وهيا بنا نرى ونتعقب مصير ملكات الجمال اللاتى تربعن على عرش الجمال المزعوم، ولبسن التاج لمدة عام على الأكثر ..وذلك لأن أجسادهن كـانت رشـيقة وأعضائهن متناسقة وفقًا لمقاييس الجمال البشـرى التـى تسـتخدم السـنتيمترات والملليمترات فى قياس الأنف والفم والثديين والفخذ والذراعين..!!

ويقول الأستاذ صالح جودت فى مجلة حواء:

وبعد هذا أقول لك إن الجميلات أكثر تعرضًا للشقاء الزوجى والطلاق من النساء العاديات متوسطات الجمال ومن الدميمات أيضًا، هذه ظاهرة ملحوظة فى كل زمان وفى كل مكان ..وقد حاولنا هنا فى دار الهلال منذ أكثر من عشر سنوات أن نتقصى مصير اللاتى فزن بلقب ملكات الجمال بعد بضع سنوات من فوزهن بهذا اللقب فوجدنا أنهن أتعس نساء الأرض ..ومنذ عامين أو ثلاثة قامت إحدى المجلات الأمريكية بمثل هذه المحاولة على نطاق واسع وتتبعت عددًا ضخمًا من ملكات الجمال على الشاشة وعلى المسرح وفى مسابقات (فتاة الغلاف) بالمجلات الكبرى فى المسابقات الدولية لعرش الجمال.

- فوجدت أن نسبة الطلاق بينهن ثلاثة أمثالها بين النساء العاديات..

وأكثر من ذلك تبينت الحقائق الآتية:-

- أن أكثر من نصفهن (٥٠%) تزوجن أكثر من مرة ولم يحالفهن التوفيق.
- نسبة (٧٠%) من المتزوجات منهن غير سعيدات فى حياتهن الزوجية.
- الكثيرات منهن تعرضن لأمراض نفسية قاسية أدت ببعضهن إلى الجنون أو الانتحار (كما حدث لمارلين مونرو ممثلة الإغراء الأمريكية المشهورة وكذلك داليدا المطربة الفرنسية المعروفة).
- أن نسبة (٩٠%) منهن بعد انقضاء عشر سنوات على فوزهن باللقب يحيون حياة بعيدة عن الرفاهية وتغلب عليهن الكآبة والتشاؤم والخوف.
- نسبة غير قليلة منهن جنى عليها الجمال فلاحقتها الألسنة والشائعات والأقاويل ولم تتزوج رغم كثرة المعجبين لأن المعجبين قلما يتزوجون.

والجمال نعمة ولكنه قد يكون نقمة ..لا سيما إذا اقترن بالغرور والجهل والبعد عن الله ..لكن كل هذه المفاتن مجتمعة لابد وأن تشحن النفس الإنسانية بشىء من الغرور.

فتعتقد صاحبة تلك النفس أنها من طينة غير طينة النساء الأخريات ..وأن الرجل الذى يستحقها لم يخلق بعد ..وأنها حين تقبل أحد الرجال كزوج فإنما تقبله من قبيل التنازل والتواضع فهى أحسن منه ومتفضلة عليه..

ويزيدها ثناء الرجال عليها ونظراتهم إليها فى الطريق، وفى المجتمع شحنة من الغرور كل يوم، وتغار النساء الأخريات منها غيرة تكاد تفصلها عن المجتمع، وتقيم بينهن وبينها حجابًا يحول دون إحساسها الكامل بالمحبة والمودة والصداقة والثقة بالناس.

وتشعر أن عيون الرجال فى كل مكان تنظر إليها نظرات محمومة، كما ينظر الجائع إلى وجبة شهية، فتزداد انفصالاً عن المجتمع وخوفًا من الناس وسوء ظن بالجميع.

وتتزوج ..ولكن الزواج لا يعصمها من نظرات العيون ..وتلتهب غيرة الزوج من هذه النظرات، فيسير بها فى الطرقات، ويدخل بها إلى المجتمع والمسرح والأماكن العامة، وهو يتلفت حوله ورأسه يدور فى حركة لولبية، كأنما يريد أن يحجب عنها نظرات الناس، أو يضرب من أجلها الناس جميعًا!!

وتتفاقم المشكلة، وتقع الكارثة حينما تطبع طبيعتها المرحة ابتسامة على شفتيها، أو نظرة حلوة فى عينيها لا تستطيع أن تغيرها بيدها ..فيستبد سوء الظن بزوجها، إذ يخيل إليه أنها تبتسم لجميع الناس، أو لواحد منهم على وجه التحديد ..ويتابعها زوجها بهذا الاهتمام حينما تنظر نظرة بريئة من الشباك ..أو حينما تتحدث إلى أحد أصدقائها، فتتمالكه الوسواس، وتثور نفسه!!

وهكذا تثير المواقف العصبية مواقف الغيرة الضاربة بين الزوجين كل يوم ..وتفسر الزوجة هذه المواقف فى أول الأمر على أنها حب شديد من زوجها لها، ثم لا يلبث هذا التفسير على مر الزمن ..أن يتحول إلى تفسير آخر هو عدم الثقة ولا شىء يجرح كرامة المرأة قدر عدم الثقة بها.

ومن هنا تبدأ جدران البيت فى الانهيار، وتتحطم الحياة الزوجية على صخرة الوهم، هذه هى حياة المرأة البراقة الجميلة ..والحصاد المر لهذه الثروة الموقوتة ..فما هو موقف الشرع منها؟..

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ..فاظفر بذات الدين تربت يداك**)[1] ..وهنا تجد أن المرأة -كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم - تنكح لثلاثة أسباب وهبية، ولسبب واحد كسبى، وعلى العاقل أن يختار ما اختاره سيد البشرية له.. فالأسباب الوهبية ليس للمرء فضل فى اكتسابها ..فالجمال هبة من الله للمرأة .. والمال رزق قسمه الله لها أو لأهلها والحسب (أى الأهل) لا مجال لاختيارهم سواء أكانوا من الأبرار أو الفجار ..ويبقى السبب الأخير وهو الكسبى، وهو متروك تمامًا لجهد المرأة وعقلها وفهمها وإرادتها والتزامها به - ويعنى مدى تدينها والتزامها بتعاليم الدين، سواء مع نفسها وأهلها وأقاربها وجيرانها وأصحابها، أو مع كل الناس الذين تتصل بهم أو تتعامل معهم، ويحض الرسول على تقديم الدين على كل المقاصد الدنيوية الأخرى من جمال ومال وحسب أو نسب ..لأن المرأة إذا كانت على غير دين فقد ذهب عنها الصلاح ويعجز معها الإصلاح!!

ويقول صلى الله عليه وسلم: (**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل**)[2].

أضف إلى ذلك القيمة الكبرى التى أمر الله بها إماءه المسلمات بالتزام الحجاب والبعد عن التبرج والسفه حين قال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾[3].

---

[1] متفق عليه

[2] الخرماء هى مقطوعة الأنف ومثقوبة الأذن (رواه ابن ماجة ١٨٥٩، وكذلك الطبرانى والبيهقى.

[3] الأحزاب /٥٩

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[1] ..ففى الآية الأولى أمر بالحجاب، والثانية أمر بالنهى عن التبرج وتقليد النساء الأجنبيات.

وقال عز وجل كذلك: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ﴾[2].

ويقول القرطبى فى تفسيره إن الزينة على قسمين خلْقية ومكتسبة ..فالخلقية وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة لما فيه من المنافع وطرق العلوم ..وأما الزينة المكتسبة فهى ما تحاوله المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى فهذا داخل فى قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**). رواه مسلم، (مائلات) أى مائلات عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه وقيل يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا.

(مميلات) لغيرهن أى يمشطن تلك المشطة.

(رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة) أى يجمعن شعورهن ويكبرنها.

ووصف صلى الله عليه وسلم المرأة المتبرجة أنها من أهل النار.

وتشرح السيدة نعمة صدقى فى رسالة التبرج الأخطار الناجمة عن التبرج بقولها: "إن التبرج يضر بالنساء والرجال فى الدنيا والآخرة، ويزرى بالمرأة ويدل على جهلها، وهو حرام على الشابة والعجوز والجميلة وغيرها ..فتبرج المرأة ضرره عظيم، وخطره جسيم، لأنه يخرب الديار ويجلب الخزى والعار، ويدعو إلى الفتنة والدمار ..لقد اتبعت المرأة المتبرجة خطوات الشيطان ..وخالفت أوامر السنة والقرآن، وتعدت حدود الله واجترأت على الفسق والعصيان."

---

[1] الأحزاب / ٣٣

[2] النور/٣١

"ومن الأوهام الشائعة بين الغربيين أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام، فلم يكن له وجود فى الجزيرة العربية ولا فى غيرها قبل الدعوة المحمدية، وكادت كلمة المرأة المحجبة عندهم أن تكون مرادفة للمرأة المسلمة، أو المرأة التركية التى حسبوها زمنًا مثالاً لنساء الإسلام، لأنهم رأوها فى دار الخلافة.

وهذا وهم من الأوهام الكثيرة التى تشاع عن الإسلام خاصة بين الأجانب، وتدل على السهولة التى يتقبلون بها الإشاعات عنه، مع أن العلم ببطلانها لا يكلفهم طول البحث والمراجعة، ولا يتطلب منهم شيئًا أكثر من قراءة الكتب الدينية التى يتداولونها، وأولها كتب العهد القديم وكتب الإنجيل.

ولقد غلا المتطرفون من الأقدمين فى حالى الحجاب والتسريح فحجبوا المرأة ضنًا بها، وسرحوها هوانًا عليها لأمرها، وأوشك إعزازها أن يكون شرًا عليها من هوانها، فإذا عزت عندهم فهى طير حبيس فى قفص مصنوع من معدن نفيس أو خسيس، وإذا هانت عليهم سرحوها ليبتذلوها فى خدمة كخدمة الدابة المسخرة، حريتها الموهومة ضرورة من ضرورات التسخير والاستبعاد!

"فالمؤمنون مطالبون بأن: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.[1]

والمؤمنات مطالبات بذلك: ﴿..وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ.﴾[2] وقد نهى الرجال عن الزينة المخلة بالرجولة، ونهى النساء عن مثلها:- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى..﴾[3].

---

[1] سورة النور آية ٣٠.

[2] سورة النور أية ٣١.

[3] سورة الأحزاب آية ٣٣.

فلا حجاب إذن فى الإسلام بمعنى الحبس والحجر والمهانة، ولا عائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضى المصلحة، وإنما هو الحجاب مانع الغواية والتبرج والفضول، وحافظ الحرمات وآداب العفة والحياء.

وما من ديانة ولا شريعة يحمد منها أن تأذن بالتبرج ولا تنهى عنه، أو يحمد منها أن تغض عنه ولا تفرض له أدبًا يهذبه ويكف أذاه. فمثل هذا التبرج فى الجاهلية الأولى هو الذى منعه الرومان بقانون، وتغاضوا عنه يوم تغاضوا عن الفتن والملذات التى أطاحت بالدولة وأعقبت العالم سآمة من نزوات الجسد - جاوزت حدودها - وأوشكت أن تنقلب من نقيض الإباحة لكل شىء إلى نقيض الحرمان من كل شىء. ومثل هذا التبرج هو الذى توعده النبى أشعيا بالدمار الذى يعصف بالزينة فلا يبقى لها بقية" [1]

فقال ..من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق غامزات بعيونهن خاطرات فى مشيهن، يخشخشن أرجلهن، يصلع السيد هامة بنات صهيون، ويعرى الرب عورتهن، وينزع السيد فى اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وخناجر الشمامات والإحراز وخزائم الأنوف".

ومثل هذا التبرج هو الذى تمنعه جميع الشرائع على الورق حيث تسميه "التهتك"، أو تسميه الإخلال بناموس الحياء، ثم لا تفلح فى منعه؛ لأنها تمنعه بعصا القانون ولا تمنعه بوازع الوجدان والإيمان[2]

---

[1] المرأة فى القرآن للعقاد.

[2] المرأة فى القرآن للعقاد.